﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ [البقرة: 225]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مناسبة قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ لمَا قبلها ظاهرةٌ؛ لأنّه سبحانه لمّا نهى عن جعل اسم (الله) مَعرَّضًا للأيمان، كان ذلك حتمًا لترك الأيمَانِ، وهم يشقُّ عليهم ذلك، لأنّ العادَةَ جرت لهم بالأيمان، فذكر أنّ ما كان منها لغوًا فهو لا يؤاخَذُ به؛ لأنّه مِمّا لا يقصد به حقيقة اليمين، وإنّما هو شيءٌ يجري على اللّسانِ عند المحاورة من غير قصد، وهذا أحسن ما يفسَّر به اللّغو؛ لأنّه تعالى جعل مقابَلَة ما كسبه القَلبُ وهو ماله فيه اعتمادٌ وقصدٌ[1]. فجعل الآية كجواب سؤالِ من يسأل بعد سماع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ فيقول: وكيف نفعل والأيمان جارية على ألسنتنا؟؛ فيأتي الجواب: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (لغو)، اللُّغة واللُّغاتُ: اختلافُ الكلام في معنى واحدٍ. ولغا يلغُو لَغوًا، يعني اختلاط الكلام في الباطل، وقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [الفرقان: 72]؛ أي: بالباطل. وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصّلت: 26]، يعني: رفع الصّوت بالكلام ليغلّطوا المسلمين.

ولاغية في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١﴾ [الغاشية: 11]: كلمة قبيحة أو فاحشة[2]. واللّغا: السّقط، وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع[3]. وقال ابن الأنباري: اللّغو عند العرب ما يُطرح من الكلام استغناء عنه، ويُقال: هو ما لا يُفهم لفظُه. ويُقال: لغا بالأمر، لَهِجَ به، يلغا، ويُقال: اشتُقّ من هذا اللّغة، وقال ابن عيسى، وقد ذكر أنّ اللّغو: ما لا يفيد، وأنّ اللّغة إنّما اشتُقّت من قولهم: لغى بكذا إذا أولع به[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/443.
(2) الخليل، العَين: (لغو).
(3) ابن سيده، المُحكم: (لغو).
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/436.

ومعنى ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾: هو اليمينُ بغير إرادةٍ لها وقَصْدٍ.

2) ﴿كَسَبَتۡ﴾: جذر الكلمة هو (كَسَبَ)، والكَسْبُ: طلب الرّزق[1]. ورجل كسوب يَكسِبُ: يطلب الرّزق. وكَساب: اسم للذّئب، وكَسّاب، فعّال، من كَسب المال[2]. ورجل كسوب للمال وكسّاب، وله مَكاسبُ، وهو طيّب المَكْسَبة أي: طيّب الكَسْب، وكسبتُ. وهو يتكسّب بالشِّعر، وكسَبْتُه مالًا فكسَبَه، ولا يُقال: أكسبتُه. ومن المجاز: كسَبتُ خيرًا واكتسبتُ شرًّا، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: 286]، وكَسَب أهلَه خيرًا[3].

ومعنى ﴿كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾: قَصَدَتْه قُلوبُكم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر اللّه تعالى بأنه لا يحاسبكم بسبب الأَيْمان التي تجري على ألسنتكم من غير قصد لها، كقول أحدكم: لا واللّه، وبلى واللّه، فلا كفارةَ عليكم فيها ولا عقوبة في ذلك، ولكن يحاسبكم بما قصدَتْه قلوبُكم من تلك الأَيْمان، واللّه غفور لذنوب عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة. واختار اسمَي الغفور الحليم لبيان سعة مغفرته سبحانه، وحلمه على بني آدم، إذ هم يعقِدونَ الأيمانَ ويذكرون اسمه في جميع أحوالهم؛ صدقهم وكذبهم.

وترشد الآية إلى أنَّ اللّه تعالى قد عفا عن اليمين اللّغو ممّا هو غير مقصود منه عقد اليمين وتوثيقه، وذلك ما يقع في الكلام حشوًا غير مقصود، مع لزوم الكفّارة بما كسبت قلوبكم، وذلك إذا نويت الحَلِفَ وقصدتَ اليَمين.

وفي الآية دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال[4].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ فصلِ قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ عمَّا قبلَه:

قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنّ الآية السّابقة

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كسب).
(2) الخليل، العين: (كسب).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (كسب).
(4) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 36، والموصلّي، أولى ما قِيل: 2/326، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 36.

مِـنْ طَـرِيـقَـةِ القُرآن الكريم: تَشْويقُ المتلقّي إلى الأَحْكَامِ

لمّا أفادت النّهي عنِ التّسرُّع بالحَلْف لغرض مَمدُوحٍ؛ هو البِرُّ والتّقوى والإصلاح قال تعالى: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾، استدعى دواخل النّفس إلى الاطِّلاع على أحكام اليمين، وبخاصّة ذلك الّذي يجري على الألسن لما عُلم قبلُ مِن النّهي عن الحَلِف عمومًا في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾، فجاءتِ الجملة كأنّها جوابٌ عن سؤال مُقدَّر في النّفس، مفاده: أنّ كثيرًا من الأيمان تجري على ألسنتنا من قبيل اللّغو، فما الحُكم فيها؟.

نُكْتَةُ ذِكْرِ الاسمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهَ﴾ وتَكرارِه:

مِنْ سَعَةِ رحمةِ اللهِ بالعبادِ: رفعُ المؤَاخذةِ بلَغْوِ اليَمِين

لمّا تقدّم سبحانه وتعالى إلى المخاطَبين في شأن الحَلِف، وكانت ألسنتهم قد تعوّدت على الأيمان من غير قصد، فصاروا لا يقدرون على ترك ذلك إلّا برياضة، ومُتابعة للنّفس، ومعالجة طويلة للأقوال والأفعال، وكان ممّا رحم الله به هذه الأمّة العفو عمّا أخطأت به ولم تتعمّده؛ قال في جواب مَن كأنّه سُئِل عن ذلك: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾؛ أي: لا يعاقبكم، فكرَّرَ في الإطلاق والعفو الاسمَ الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ الّذي ذكره في التّقييد والمنع؛ إيذانًا بأنّ عظمتَه لا تمنع منَ المغفرة ﴿بِٱللَّغْوِ﴾[1]، ولكنْ يلزمكم الكفّارة بما كسبت قلوبكم؛ أي: بما نوت قلوبكم، وقصدت من الأيمان، ولم يكن كَسْبَ اللّسان وحده[2].

دِلَالَةُ المُفَاعَلَةِ فِي (يُؤَاخِذُ):

إِرْشَادُ المُؤْمِنينَ إِلَى تَرْكِ التَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِ اللهِ تعالَى

في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ المؤاخذة مفاعلة من الأَخذ، بمعنى العدِّ والمحاسبة، يُقالُ: أخذه بكذا؛ أي: عدّه عليه ليُعاتبه أو يعاقبه، قال كعب بن زهير:

لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ***أُذنِبْ وإِنْ كَثُرَتْ فيَّ الأَقَاوِيلُ[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/425.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/267.
(3) القُرشّي، جمهرة أشعار العرب، ص: 638.

فالمُفاعَلة هنا للمُبَالغة في الأخذ؛ إذ ليس فيه حصول الفِعلِ من الجانبين[1]، وفي نفي هذه المؤاخذة إشعارٌ لأهل الإيمان بتركِ التَّقصيرِ في حقوقِ اللّه تعالى؛ إذْ إنَّ نفيَ المؤاخذةِ مؤذِنٌ بضَرْبٍ من التّقصيرِ أو الخطأ.

بَلَاغَةُ التَّرَقِّي فِي ذِكْرِ أَنْوَاعِ الْأَيْمَانِ:

اخْتِلَافُ دَرَجَاتِ الْأَيْمَانِ بِاعْتِبَارِ آثَارِهَا

عند قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يظهر فنّ التّرقّي في أنواع الأيمان، ويظهر النّص تبعًا لها ولآثارها على الفرد والأسرة، بدءًا بيمين اللّغو الّذي نهى عنه الشّارع، لكنّه أُتبع بعدم المؤاخذة إثمًا وكفّارة، ثم ترقّى بذِكْر ما كسبت القلوب، وأكّدته، وقصدَتْه، وبيّن أنّ فيه مؤاخذةً إثمًا أو كفّارة، ثمّ يذكر نوعًا آخر من الأَيمَانِ الّتي تكون بين المرء وزوجه، في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، وما يترتّب على ذلك من أثرٍ مهمّ في الأسرة ومصيرها، وسيأتي بيانه وحكمه.

الْمُؤَاخذة كِنَايَة عَنِ الإلزامِ بالوَفَاءِ باليَمِينِ:

الإرشَـــادُ إِلَى حِـفْـظِ اليَـمِـينِ وعدمِ التَّساهُلِ فيها

المؤاخذة باليمين كنايةٌ عن الإلزام بالوفاء بهَا وعدم الحِنث، ويترتَّب على ذلك أَنْ يأثم إذا وقع الحنث، إلَّا ما أذِنَ اللّه في كفّارته[2]، وفي التَّعبير بنفي المؤاخذة في قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ على وجه الكنايةِ: إرشادٌ إلى حفظ اليمينِ وعدم التَّساهُلِ فيها اتِّكالًا على نفي المؤاخذةِ على ما وردَ منها لغوًا؛ إذ نفي المؤاخذةِ مشعرٌ بنوعِ تقصيرٍ.

فجعل اللّه تعالى اللّغو قسيمًا لِلّتي كسبها القلب في هذه الآية، والّتي عقد عليها الحالفُ اليَمينَ في قوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/380.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/381.

﴿ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ [المائدة: 89]، فما عقّدتم الأيمان هو ما كسبته القلوب؛ لأنّ ما كسبت قلوبكم مُبيَّن، فيُحمل عليه مُجمَل ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾، فتعيّن أن تكون أيمان اللّغو هي الّتي لا قصد فيها إلى الحِلف، وتجري على اللّسان دون قصد، وعليه فَنَفْيُ المؤاخذة بمعنى نفي المؤاخذة بالإثم وبالكفّارة؛ لأنّ نفيَ الفعل يعمّ، فاليَمين الّتي لا قصد فيها لا إثم فيها ولا كفّارة عليها، وغيرها تلزم فيه الكفّارة؛ للخروج من الإثم، بدليل آية المائدة؛ إذْ فسّر المؤاخذةَ فيها بقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: 89][1].

دِلَالَةُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾:

تقول العربُ: لَغَوتُ في اليمين، فأنا أَلْغُو لَغْوًا، ويُكنَّى باللّغو عنِ القبيح مِنَ الكلام، وأصله من لغي العصافير[2]، ويقال: لَغِيتُ باسم فلان، فأنا ألغى به لَغًى، أي: أذكُرُهُ[3].

لَغْوُ اليمينِ: لَا تَلْزَمُهُ كفَّارة في العَاجِلِ ولا إِثْمَ فِي الآجِلِ

وما لم تتعمّد فيه الإثمَ قلوبُهم، فهم لُغاةٌ في أيمانهم، لا تلزمهم كفّارة في العاجل، ولا عقوبة في الآجل[4]. وقوله: ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ من قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ مُتعلِّق بـ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾، والباء سببيّة مثلها في قوله: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم﴾ [النّحل: 61]، وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: 40].

دِلَالَةُ حَرْفِ الجَرِّ (فِي) مِن قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾:

كَـثْرَةُ الْمَـعَـانِي بِتَـعَـدُّدِ دِلَالَاتِ الْحُرُوفِ

قوله: ﴿فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ مُتعلِّق بالفعل، أو بالمصدر، أو بمحذوف؛ أي: كائنًا في أيمانكم، فيكون حالًا، ويقرّبه أنّك لو جعلته في صلة (الّذي)، ووصفتَ به اللّغو؛ لاستقام[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/382.
(2) الراغب، تفسير الرّاغب: 1/461.
(3) الأخفش، معاني القرآن: 1/187.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 4/449.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/444.

والأيمانُ: جمعُ يَمِينٍ؛ وهو القَسَم والحِلف، ويكون بذِكْرِ اسم الله تعالى أو صفةٍ من صفاته[1].

و﴿فِيٓ﴾ للظّرفيّة المجازيّة المُرادِ بها المُلابَسَة، وهي ظرف مُستقرّ، صفة اللّغو أو حال منه، فيكون المعنى على جعل اللّغو بمعنى المصدر، وهو الأظهر: لا يؤاخذكم الله بأنْ تَلغوا لغوًا مُلابسًا للأيمان؛ أي: لا يؤاخذكم بالأيمان الصّادرة صدور اللّغو؛ أي: غير المقصود من القول، فإذا جعلتَ اللّغو اسمًا بمعنى الكلام السّاقط الخاطئ، لم تصحَّ ظرفيّته في الأيمان؛ لأنّه مِنَ الأيمان، فالظّرفيّة مُتعلِّقة بـ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾، والمعنى لا يؤاخذكم الله في أيمانكم باللّغو؛ أي: لا يؤاخذكم من بين أيمانكم باليمين اللّغو[2].

الاستعارة في قوله ﴿بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾:

إِذَا ضَاقَ الْأَمْرُ اتَّسَعَ

من عادة العرَب في القَسَم أنَّ بعضَ القسَم يُقْسِمُونَ به على التزام فِعْلٍ يفعلُهُ المُقْسِمُ؛ ليُلْجِئَ نفسَه إلى عمله ولا يندم عنهُ، وهو من قبيل قِسَم النَّذر، فإذا أراد أحدٌ مَا أن يُظْهِرَ عزمَهُ على فِعْلٍ لا محالةَ مِنْهُ، ولا مطمعَ لأحدٍ في صرفِه عنهُ؛ أكَّده بالْقَسَم، فصارَ النّطقُ باليمين مُؤْذِنًا بالغُرْم، وقد كَثُرَت الأيمانُ في ألسنة العرب في أغراض التّأكيد ونحوه، حتّى صارتِ الأيمانُ تجري على الألسُن كما تجري الكلماتُ الدّالّة على المعاني من غير إرادة الحِلف، فكثُر التّحَرُّج من ذلك في الإسلام[3]، قال الزّجّاج: اللّغو في كلام العرب: ما اطُّرح ولم يُعقد عليه أمرٌ[4].

وذهب الجُمهور إلى أنّ اللّغو في اليمين تلك الّتي تجري على اللّسان، ولم يقصد بها الحالِفُ الحِلفَ، ولكنّها جرت مَجرَى التّأكيد أو التّنبيه، كقول العرب: لا واللّه، وبلى واللّه[5]، وكَكَلام الرّجل في بيته: كلا واللّه، وبلى واللّه[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/381.
(2) المصدر السّابق: 2/381.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 2/381-382.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المَسِير: 1/194.
(5) النّحاس، معاني القرآن: 2/350، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/426.
(6) السُّيوطيّ، معترك الأقران: 3/502.

ولهذا فقد أشبَهَ جريانُ الحِلف على اللّسان اللّغوَ من الكلام[1]، فيكون اللّغو في الآية على هذا المعنى مجازًا بعلاقة المشابهة، وذلك على سبيل الاستعارة المكنيّة، فَجَرَيانُ الحِلفِ وكثرتُه هو اللّغو فيه، فشُبِّهَ اللّغو بالجريان، وتُفيد هذه الاستعارة معنى الكثرة في هذا النّوع من الحِلف ووقوع النّاس جميعهم به، ومن هنا فقد جاءَت رحمة الله وحلمه بالنّاس جميعًا؛ لأنَّ من قواعد الشَّريعةِ: أنَّ الأمرَ إذا ضاق اتَّسعَ.

الإجمال في قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ و﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾:

الإجْـمَـالُ في مَحَلِّه الملائِم لَهُ عِـنْدَ البـلَاغَـةِ، والتَّـفْـصِـيـلُ في مَقَامِهِ المُنَاسِبِ لَهُ عَيْنُ البَرَاعَةِ

تكون المؤاخذة على الحنث لا على أصل القسم؛ إذ لا مؤاخذة لأجل مُجرّد الحِلف، ولا سيّما مع البرّ، فتعيّن أن يكون المُراد من كسب القلب كسبه الحنث، أي: تعمّده الحنث، والتّقدير: بما كسبت قلوبكم من حنث اليمين، فهو الّذي فيه المؤاخذة، والمؤاخذة أُجملت في هاته الآية[2]؛ لأنّ مقصدَ الآية هنا التّعريفُ بأنواع اليمين، انتقالاً إلى الإيلاء من النِّساء، ثمّ الدّخول إلى أحكام الطَّلاق، ولكن فَصّلت آية سورة المائدة في الكفّارة، فقال تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: 89].

المجازُ في التّعبير عن القصد والتّعمّد بالكَسْبِ:

الْـحَـامِـلُ على اليَمِين المَنَافِعُ الدُّنيويّة غَالِبًا

لمّا كان الحامل على اليمين في الأغلب المنافع الدّنيويّة كالرّزق، وكان الكسب يُطلق على طلب الرّزق وعلى القصد والإصابة، عُبّر به مجازًا، وهو مجاز مُرسَل علاقته المُسَبَّبيّة؛ لأنّ حلف اليمين يكون لغرض كسب شيء، فيكون اليمينُ سببًا للكَسبِ، والكَسبُ هو المُسبَّبُ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/382.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/383.

فذكر المُسَبَّب وحذف السّبب؛ أي: إنّه ذكر الكسب وحذف اليمين أو الحِلفَ، فقال: بما كسبت قلوبكم، بدلًا من: بما حلفت قلوبكم؛ أي: يمينٌ معقودٌ في القلب قناعةً ويقينًا. فقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: تعمّدته ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ وقصدَته، فاجتمع فيه مع اللّفظ النّية[1]، فخُيّل للسّامع كأنّ اليمينَ سببُ الكسبِ للحالف.

كسبُ القلبِ كنايةٌ عنِ التّعمّد في حنث اليَمِين:

مَا قُصِدَ مِنَ القَوْلِ: هُوَ مِنْ كَسْبِ الْقَلْبِ أيضًا

كسبُ القلبِ يُرادُ به تعمّده للشّيء، وقوله: ﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بمُجملهِ كناية للتعمّد فيه، بخلاف ما وقع لغوًا، فجميع الأقوالِ غير اللّغو يصدقُ عليها أنّها كسبُ القلب؛ لأنّ للقلب قصدًا إليها، ونفي الوحدة يدُلُّ على أنّه لا إثم ولا كفّارة، فيضعف قول من قال: إنّها تختصّ بالإثم، ويفسّر اللّغو باليمين المُكفّرة[2].

نُكْتَةُ الْمَجَازِ فِي قَوْلِه: ﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾:

مَنْزِلَةُ القَلْبِ فِي تَحْقِيقِ الْمَكَاسِبِ

لمّا كان القلب يُعبّر به عن الجزء الّذي به المعرفة والفكر، ويجري من سائر أجزائه مَجرَى الرّاعي من المراعي[3]، قال: ﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي: باليمين الّتي للقلب فيها كسب، وذلك إذا نويتَ الحِلف وقصدتَ اليمين[4]، فكلُّ يمين عقدها القلب فهي كسب له، وكذلك فسّر مُجاهد الكَسبَ بالعقد، كآية المائدة ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[5]، وقوله: ﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ولم يقُل: (كَسَبتُم)؛ إذ عبّر بالجُزء وأرادَ الكُلَّ، فهو مجاز مُرسَل علاقته الجزئيّة، وغاية ذلك: إبراز دور القلب في تحقيق المكاسبِ جرّاءَ الأيمانِ المغلّظة أو المعقودة الّتي عبّر عنها هنا بالكسب.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/425.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/444.
(3) الراغب، تفسير الرّاغب: 1/462.
(4) الموصلّي، أولى ما قِيل: 2/326.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/444.

مُنَاسَبَةُ اقْتِرَانِ اسْمَيِ الله تعالى: الْغَفُورِ وَالْحَلِيمِ:

سَـعَـةُ حِـلْـمِ اللـهِ تَـعَـالَى، فَـلَا يُـعَـاجِـلُ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ يَسْتُرُ وَيَغْفِرُ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ استئنافيّة، والمعنى أنّه سبحانه يتجاوز عمَّا لم تتقصّده القلوبُ مِن مظاهر الذّنوب[1]، ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرّحيم كَالْوَرِادِ في أكثر القرآن؛ لأنّ هذه المغفرة في مقابلةِ تَقصير يتعلَّقُ بِالأدب مع الله تعالى[2]، فلذلك ذُكِرَ اسمُ الله الحليم؛ مناسبةً لبيان حِلمه سبحانه عمّن يقصِّرُ في جَنْبِهِ؛ فإنَّ شأن الحليم أن لا يعاجِلَ بالعقوبة، بل شرعَ الله للعباد مكفّراتٍ لتقصيرِهم لا تعسُّرُ عليهم؛ فقال: ﴿فَكَفَّرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، فكان هذا التّكفير تعبيرًا دقيقًا عن ذلك الحِلم؛ لأنّ الحليم هو الّذي لا يستفزّه التّقصير في جَنْبِهِ، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة.

وقال البِقاعيّ: ولمّا كان السّياق للمؤاخذة الّتي هي معالجة كلٍّ من المُتناظرين لصاحبه بالأخذ كان الحِلم أنسب الأشياء، لذلك قال: ﴿حَلِيمٌ﴾، لا يعاجلهم بالأخذ، والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى، وهو أيضًا رفع المؤاخذة عن مُستحقّها بجناية في حقّ مُستعظَم[3].

نُكْتَةُ الْإِظْهَارِ فِي مَوضِعِ الْإِضْمَارِ:

عَـظَـمَـةُ مَـغْـفِـرَةِ اللهِ وَحِلْمِهِ

لمّا كان ذكر المؤاخذة شاغلًا قلوبَ الخائفين فقد أقرّها وبثّ فيها السّكينة، بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ مُظهرًا الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ في مَوضِع الإضمار؛ إذ مقتضى الظَّاهر أن يُقال: (وهو غفور حليم)، ففي هذا الإظهار: بيانُ عظمَةِ مغفرتِهِ وحِلْمِهِ؛ إذ هما وصفانِ للّهِ تعالى الذي دلَّ اسمه (الله) على صفاتِ الكمال والجمال والجلال.

(1) الموصلي، أولى ما قِيل: 2/326.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/384.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/426.

والغفور: هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعول) بصيغة المبالغة، بما يدُلُّ على كثرة الغفر لذنوب عباده التّائبين[1]. والحليم الّذي له الحلم الكامل، والّذي وسع حلمه أهل العصيان، ومنع عقوبته أن تحلّ بهم عاجلًا، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصرّوا واستمرّوا في طغيانهم، ولم يُنِيبوا[2].

مَدْحُ مَنْ لَا يُكْثِرُ الْحَلِفَ؛ حِفْظًا لِاسْمِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الِامْتِهَانِ

والخبر في قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ مسوقٌ مساقَ المدحِ لمن لا يكثر الحِلف، قال الحرَالّي: فيكون ذلك عزمًا باطنًا وقولًا ظاهرًا فيُؤاخذ باجْتماعهما، ففي جملته ترفيعٌ لمن لا يحلِف بالله في عزم ولا لغو، وذلك هو الّذي حفظ حرمةَ الحِلف بالله، وفي مقابلته من يحلِف على الخير أن لا يفعله.

ثم إنّه في الآية لم يبيّن الكفّارة صريحًا؛ إشارة إلى أنّهم ينبغي أن يكونوا أتقى من أن يُمنعوا مِن شيء فيُقَارِفُوهُ[3]، وبُيِّنَتِ الكفّارة في سورة المائدة؛ لمناسبة المقامِ لذلك.

بَلَاغَةُ تَشَابُهِ الْأَطْرَافِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

تَطْمِينُ قُلُوبِ الْمُعَظِّمِينَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، وَالتَّعْرِيضُ بِالْمُتَسَاهِلِ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ

في ختْمِ الآية باسْمَيِ الله تعالى: الغفور والحليم مناسبة ظاهرة لعدم المؤاخذة على اللّغو في الأَيْمَان؛ إذ بُدِئَتِ الآية بعدم المؤاخذة، وخُتِمَتْ بما يناسب ذلك، فهي من قبيل تشابُهِ الأطرافِ؛ وهو ضربٌ أخصُّ من ردِّ العجزِ على الصَّدْرِ، وفي ذلك من زيادةِ التّطمين للنّفوس وإراحة القلوب ما فيه، كما أنّ فيها تعريضًا بمَنْ يكسبُ الإثم بحِنْثِ اليمين.

(1) سعد ندا، مفهوم الأسماء والصّفات: 46/72.
(2) السّعديّ، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 189.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/425.

التّذييل في قوله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى سَبَقَتْ غَضَبَهُ

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾؛ تذييل لحكم نفي المؤاخذة[1]، وهو تذييلٌ جارٍ مجرى المثل؛ لاستقلاله بالإفادةِ.

وقد جاءت هاتان الصّفتان (المغفرة والحِلم) دالَّتين على توسعة الله على عباده؛ حيث لم يؤاخذهم باللّغو في أيمانهم[2]، وفي تعقيب الآية بهما إشعار بالغفران والحِلم عمّن أوعده تعالى بالمؤاخذَة، وإطْمَاع في سعة رحمته، لأنّ مَن وَصَفَ نفسه بكثرة الغفران والصّفح مطموعٌ في مَا وَصَفَ به نفسَه، فالوعيد السَّابقُ مُقيّد بالمشيئة، كسائر وعيده تعالى[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/384.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/190، والهرويّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 3/294.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/445.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»